@ 570 @ فقال : ! 2 2 ! بربهم وكذبوا رسله ! 2 2 ! أي : بقاع ؛ لا شجر فيه ولا نبات 2 ! . 2 ! شديد العطش ، الذي يتوهم ، ما لا يتوهم غيره ، بسبب ما معه من العطش ، وهذا حسبان باطل ، فيقصده ليزيل ظمأه . ! 2 2 ! فندم ندما شديدا ، وازداد ما به من الظمأ ، بسبب انقطاع رجائه . كذلك أعمال الكفار ، بمنزلة السراب ، ترى ويظنها الجاهل الذي لا يدري الأمور ، أعمالا نافعة ، فتغره صورتها ، ويخلبه خيالها ، ويحسبها هو أيضا أعمالا نافعة لهواه ، وهو أيضا محتاج إليها ، كاحتياج الظمآن للماء . حتى إذ قدم على أعماله ، يوم الجزاء ، وجدها ضائعة ، ولم يجدها شيئا ، والحال إنه لم يذهب ، لا له ولا عليه ، بل 2 ! 2 ! . لم يخف عليه من عمله ، نقير ولا قطمير ولن يعدم منه قليلا ولا كثيرا . ! 2 2 ! فلا يستبطىء الجاهلون ذلك الوعد ، فإنه لا بد من إتيانه ، ومثلها ا بالسراب ، الذي بقيعة ، أي : لا شجر فيه ولا نبات ، وهذا مثال لقلوبهم ، لا خير فيها ولا بر ، فتزكو فيها الأعمال وذلك للسبب المانع ، وهو الكفر . والمثل الثاني ، لبطلان أعمال الكفار ! 2 ! 2 بعيد قعره ، طويل مداه ! 2 2 ! ظلمة البحر اللجي ، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة ، ثم فوق ذلك ، ظلمة السحب المدلهمة ، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم . فاشتدت الظلمة جدا ، بحيث أن الكائن في تلك الحال ! 2 2 ! مع قربها إليه ، فكيف بغيرها . كذلك الكفار ، تراكمت على قلوبهم الظلمات ، ظلمة الطبيعة ، التي لا خير فيها ، وفوقها ظلمة الكفر ، وفوق ذلك ، ظلمة الجهل ، وفوق ذلك ، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر ، فبقوا في الظلمة متحيرين ، وفي غمرتهم يعمهون ، وعن الصراط المستقيم مدبرون ، وفي طرق الغي والضلال ، يترددون ، وهذا لأن ا خذلهم ، فلم يعطهم من نوره . ^ (ومن لم يجعل ا له نورا فلما له من نور) ^ لأن نفسه ظالمة جاهلة ، فليس فيه من الخير والنور ، إلا ما أعطاها مولاها ، ومنحها ربها . يحتمل أن هذين المثالين ، لأعمال جميع الكفار ، كل منهما ، منطبق عليها ، وعددهما لتعدد الأوصاف ، ويحتمل أن كل مثال ، لطائفة وفرقة . فالأول ، للمتبوعين ، والثاني ، للتابعين ، وا أعلم . ! 2 2 ! نبه تعالى عباده على عظمته ، وكمال سلطانه ، وافتقار جميع المخلوقات إليه ، في ربوبيتها ، وعبادتها فقال : ! 2 2 ! من حيوان وجماد 2 ! 2 ! أي : صافات أجنحتها ، في السماء ، تسبح ربها . ! 2 2 ! من هذه المخلوقات ! 2 2 ! أي : كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللائقة به ، وقد ألهمه ا تلك الصلاة والتسبيح ، إما بواسطة الرسل ، كالجن والإنس ، والملائكة ، وإما بإلهام منه تعالى ، كسائر المخلوقات غير ذلك ، وهذا الاحتمال ، أرجح ، بدليل قوله : ! 2 2 ! ، أي : علم جميع أفعالهم ، فلم

يخف عليه منها شيء ، وسيجازيهم بذلك ، فيكون على هذا ، قد جمع بين علمه بأعمالهم ، وذلك بتعليمه ، وبين علمه بمقاصدهم المتضمن للجزاء . ويحتمل أن الضمير في قوله : ! 2 2 ! يعود إلى ا ، وأن ا تعالى ، قد علم عبادتهم ، وإن لم تعلموا أيها العباد منها ، إلا ما أطلعكم ا عليه . وهذه الآية كقوله تعالى : ^ (تسبح له السموات السبع والأرض من فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) ^ . فلما بين عبوديتهم وافتقارهم إليه من جهة العبادة والتوحيد بين افتقارهم إليه ، من جهة الملك والتربية والتدبير فقال : ! 2 2 ! خالقهما ، ورازقهما ، والمتصرف فيهما ، في حكمه الشرعي والقدري ، في هذه الدار ، وفي حكمه الجزائي ، بدار القرار ، بدليل قوله : 2 ! 2 ! أي : مرجع الخلق ومآلهم ، ليجازيهم بأعمالهم . ^ (ألم تر أن ا يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السمآء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشآء ويصرفه عن من يشآء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * يقلب ا الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي